السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(١٤)

عَلَىٰ جَبَلِ الصَّفَا!

الدكتور
محمد عمر الحاجي

obeikandl.com

obeikandl.com

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

وَفِي دَارِ الأَرْقَمِ

وَبَدَأَتْ دَائِرَةُ الدَّاخِلِينَ في الإسْلامِ تَتَّسِعُ ، فَأَسْلَمَ صُهَيْبٌ الرُّومِيُّ ، وَخَالِدُ بْنُ سَعِيْدٍ ، وَعَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ ، وَأُمُّ الفَضْلِ ، وَأَبُو ذَرٍّ الغِفارِيُّ ، وعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ الخَطَّابِ ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ، وَخَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَغَيْرُهُمْ... .

وَلا شَكَّ : أَنَّ السَّابِقِيْنَ إِلىٰ الإسْلامِ قَدْ بَذَلُوا الكَثِيْرَ ، وَضحَّوا بكُلِّ ما يَمْلِكُونَ في سَبِيْلِ نُصْرَةِ الدِّيْنِ الحَنِيْفِ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُ المصطفى ﷺ : « أَنَا سَابِقُ العَرَبِ إلىٰ الجَنَّةِ ، وَصُهَيْبٌ سَابِقُ

الرُّوْمِ إلىٰ الجَنَّة ، وَبِلالٌ سَابِقُ الحَبَشَةِ إلىٰ الجنَّةِ ، وَسَلْمَانُ سَابِقُ الفُرْسِ إلى الجَنَّةِ » .

وَيُعْتَبَرُ هَؤُلاءِ بِحَقٍّ اللَّبِنَاتِ الأُولَىٰ الَّتِي قَامَ عَلَيْها بُنْيَانُ الإسْلامِ العَظِيْمُ .

والعَجِيْبُ في حِكَايَةِ الدَّاخِلِيْنَ الأَوَائِل : أَنَّهم مَا دَخَلُوا في الإسْلامِ طَمَعَاً في دُنيا... وَلا نَحْوَ ذَلِكَ ، حَيْثُ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ غَنَائِمُ ، وَلا أَنْفَالٌ ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بَيْتُ مَالٍ لِلْمُسْلِمِيْنَ .

بَلْ كَانَتْ هُنَاكَ مَصَاعِبُ جَمَّةٌ ، وَكَانَتْ هُنَاكَ تَبِعَاتٌ كَثِيْرةٌ ، فَكَانَ دُخُوْلُهُمْ في الإسْلامِ مِنْ أَجْلِ هَدَفٍ وَاحِدٍ ، هُوَ رِضا اللهِ سُبْحَانَهُ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُ المصطفىٰ ﷺ : « فَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى دُنْيَا يُصِيْبُها أَوِ امْرَأةٍ يَنْكِحُها ، فَهِجْرَتُهُ إلىٰ مَا هَاجَر إلَيْهِ » .

وَلَمَّا أسْلَمَ الأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الأَرْقَمِ ، قَدَّمَ دَارَهُ لِتَكُوْنَ بِمَثَابَةِ دَارِ الإِسْلامِ وَالْمُسْلِمِيْنَ ، فَصَارَ الرَّسُول ﷺ يَجْتَمِعُ بِالْمُسْلِمِيْنَ في دَارِ الأَرْقَمِ ، لَـٰكِنْ كَانَ الاجْتِمَاعُ سِرًّا...

حَتَّىٰ إِذَا مَا كَانَ إِسْلامُ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ تَحَوَّلَ الأَمْرُ إِلَىٰ العَلانِيَةِ .

* * *

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾

وَخِلالَ السَّنَواتِ الثَّلاثِ دَخَلَ عَدَدٌ كبِيرٌ مِنَ النَّاسِ في الإسْلامِ ، وَانْتَشر ذِكْر النَّبِيِّ ﷺ بينَ القَبَائِل العَرَبِيَّةِ ، وَخَاصَّةً في مكَّةَ .

حتَّىٰ إِذَا أَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ مُخَاطِباً النَّبيِّ ﷺ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

قَالَ الرَّسُولُ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ لِعَلِيِّ ابْنِ أَبي طَالِبٍ : « يَا عَلِيُّ! إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُنذرَ

---

(١) سورة الشعراء : ٢١٤ـ٢١٦ .

عَشِيْرَتِي الأَقْرَبِيْنَ ، فَاصْنَعْ لَنَا طَعَاماً وَشَرَاباً ».

وَبِالْفِعْل فَقَدْ دَعَاهُم إلى الطَّعامِ ، فَلَمَّا انْتَهَوا قُدِّمَ لَهُمُ الشَّرَابُ... ثُمَّ وَقَفَ الرَّسُولُ ﷺ بَيْنَهُمْ خَطِيْباً ، وَكَانَ مِمَّا قال :

« إنَّ الرَّائِد لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وَاللهِ لَوْ كَذَبْتُ النَّاسَ جَمِيْعاً مَا كَذَبْتُكُمْ ، وَلَوْ غَرَرْتُ ـ أَيْ : غَشَشْتُ ـ النَّاسَ جَمِيْعاً مَا غَرَرْتُكُمْ ، واللهِ الَّذِيْ لا إِلَـهَ إلا هُوَ! إِنِّي لَرَسُوْلُ اللهِ إِلَيْكُم خَاصَّةً ، وإلىٰ النَّاسَ كَافَّةً ، وَاللهِ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقظُونَ ، وَلَتُحَاسَبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ ، وَلَتُجْزَوُنَّ بِالإِحسانِ إِحْسَاناً ، وَبِالسُّوء سُوءاً ، وَإِنَّها لَجَنَّةٌ أَبَداً ، أو لَنَارٌ أَبَدَاً ، وَاللهِ! يَا بَنِي عَبْد المُطَّلِبِ مَا أَعْلَمُ شَابّاً جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلَ مِمَّا جِئْتُكُمْ بِهِ ، إِنَّني جِئْتُكُمْ بِأَمْرِ الدُّنيا والآخِرَة » .

وَسَكَتَ القَوْمُ إلا أَبَا لَهَبٍ فَقَدْ غَضِبَ ، وَقَالَ : يا بني عَبْد المُطَّلِب! هَـٰذِهِ وَاللهِ السَّوءَةَ ، خُذُوا عَلَىٰ يَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ عَلَىٰ يَدَيْهِ غَيْرُكُمْ ، فَإِنْ أَسْلَمْتُمُوهُ حِيْنَئِذٍ ذَلَلْتُمْ ، وَإِنْ مَنَعْتُموه قُتِلْتُم .

وَرَدَّ عَلَيْـهِ أَبُـو طَـالِـبٍ رَدَّاً عَنِيفـاً ، خَتَمَـهُ بِالقَوْل : لَنْ نَسْمَعَ كَلامَكَ يَا أَبَا لَهَبٍ! وَلَنْ نَتَخَلَّىٰ عَمَّا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ.

* * *

وَعَلَىٰ جَبَلِ الصَّفَا

وَرَاحَ الرَّسُولُ ﷺ يَعْمَلُ في مَجَالاتِ تَوْسِعَةِ دَائِرَةِ الدَّعْوَةِ ، فَصعِدَ ذاتَ مَرَّةٍ جَبَلَ الصَّفَا وَرَاحَ يُنَادِي القَبَائِلَ :

« يا بَنِي فِهْرٍ! يا بَنِي كَعْب! يَا بَنِي مُرَّة! يا بَنِي عَدِيٍّ! يا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ! يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ!... » .

حَتَّىٰ إِذَا مَا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ؛ قَالَ لَهُمْ : « أَرَأَيْتُكُم لَوْ أَخْبَرْتُكُم أَنَّ خَيْلاً بالوَادِي تُرِيْدُ أَنْ تُغِيْرَ عَلَيْكُم ، أَكُنْتُم مُصَدِّقِيَّ ؟! » .

قَالُوا : نَعْم! مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إلا صِدْقاً!

فَقَالَ : « فَإِنِّي نَذِيْرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيْدٍ » .

وَتَقَدَّمَ أَبُو لَهَبٍ مِنْهُ ، وَقَالَ : تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ ؛ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا ؟!

فَأَنْزَلَ الله تَعَالىٰ قَوْلَهُ ، وَفِيْهِ رَدٌّ صَرِيحٌ وَوَاضِحٌ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ يَرُدُّ عَلى الرَّسول ﷺ ، أَو يَتَّهِمُهُ : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[1] .

* * *

(١) سورة المسد : ١ ـ ٥ .

وَحَارَ النَّاسُ في شَأْنِهِ

وَانْقَسَم النَّاسُ أَمَامَ دَعْوَتِهِ ﷺ إلىٰ قِسْمَيْن :

قِسْمٍ قَلِيْلٍ يُمثِّل الضِّعَافَ وَالْعَبِيْدَ وَالفُقَرَاء ، فَكَانُوا إِذَا أَتَوْهُ ، وَجَدُوا في كَلامِهِ الأَمَلَ .

وَقِسْمٍ كَبِيْرٍ يُمَثِّلُهُ السَّادَةُ وَالأَغْنِيَاءُ ، فَكَانُوا إِذَا أَتَوْهُ ؛ وَجَدُوا عِنْدَه الفُقَرَاءَ وَمَا إِلىٰ هُنَالِكَ .

وَحِيْنَمَا كَانَتِ اللِّقَاءَاتُ تَتِمُّ قُرْبَ الْكَعْبَةِ ؛ كَانَ المَوْضُوعُ الرَّئِيسُ الَّذي يَدُوْرُ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ أَهْلِ مَكَّةَ مَا جَاءَ بِهِ الشَّابُّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ ، وَيَتَخَوَّفُ أَهْلُ مَكَّةَ مِنِ انْتِشَارِ دَعْوَتِهِ .

أَمَّا الشَّبَابُ مِنْهُمْ ، فَكَانُوا يَرَوْنَ أَفْضَلِيَّةَ اتِّباعِ العُنْفِ ، وَذَلِكَ مِنْ خِلالِ قَتْلِهِ ، وَقَتْلِ مَنْ آمَنَ بِدَعْوَتِهِ!

وَأَمَّا الشُّيوخُ ، والكُهُولُ فَكَانُوا يُفَضِّلُونَ أَسَالِيْبَ المُفَاوَضَاتِ وَالحِوَارِ...

* * *

obeikandl.com

أَرْسَلُوا إِلَىٰ عَمِّهِ وَفْداً

وَبَعْدَ مُشَاوَرَاتٍ طَوِيْلَةٍ شَكَّلُوا وَفْداً بِزَعَامَةِ أَبِي جَهْلٍ ، وَأَرْسَلُوهُ إلىٰ أَبِي طَالِبٍ . وَذَلِكَ بِهَدَفِ إِقْنَاعِهِ بِالتَّخَلِّي عَنْ نُصْرَةِ ابْنِ أَخِيْهِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

وَهُنَاكَ وَقَفَ أَبُو جَهْلٍ يُخاطب أَبَا طَالِبٍ بِالْقَوْلِ :

يَا أَبَا طَالِبٍ! إِنَّ ابْنَ أَخِيْكَ قَدْ سَبَّ آلِهَتَنَا ، وَعَابَ دِيْنَنَا ، وَسَفَّهَ أَحْلامَنَا ، وَضَلَّل آبَاءَنَا ، فَإِمَّا أَنْ تَكُفَّهُ عَنَّا وَإِمَّا أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، فَإِنَّكَ علىٰ مِثْلِ ما نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلافِهِ ، فَنَكْفِيْكَهُ .

فَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَبُو طَالِبٍ رَدّاً لَطِيْفاً جَمِيْلاً ، وَقَالَ لَهُمْ قَوْلاً رَفِيْقاً .

* * *

obeikandl.com

إِنَّهُ خَطَرٌ أَكِيْدٌ!!

وَمَضَىٰ المُصْطَفَىٰ ﷺ بِالدَّعْوَةِ ، بَيْنَما كَانَ الحِقْدُ وَالحَسَدُ والبَغْضَاءُ تَكَادُ تُفَطِّرُ قُلُوبَ المُشْرِكِيْنَ .

فَتَدَاعَوا إلىٰ عِدَّة لِقَاءَاتٍ وَاجْتِمَاعَاتٍ ، وَأَكَّدُوا مِنْ خِلالِهَا : أَنَّ مُحَمَّداً صلوات اللهِ وَسلامُهُ عليه ومَا يَدْعُو إِلَيْهِ يُشَكِّلُ خَطَراً أَكِيْدَاً عَلَىٰ قُرَيشٍ ، وَزَعَامَتِها للعرب .

ثُمَّ تَشَاوَرُوا فِي الأَسَالِيْبِ الَّتِي يَتَّبِعُونَها في

الرَّدِّ عَلَىٰ الدِّيْنِ الجَدِيْدِ ؛ فَهَلِ اسْتَطَاعُوا الوُقُوفَ في سَبِيْلِ نَشْرِ الدَّعْوَةِ ؟!

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

❋ ❋ ❋

obeikandl.com